حوليات آداب عين شمس (عدد خاص ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

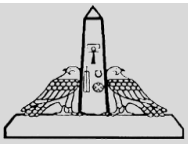

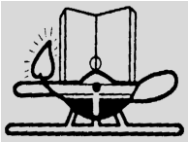

الاستدلال على مقصود السورة من إصلاح الفرد والمجتمع عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين

محمود عبدالله عبدالفتاح

المستخلص

الاستدلال على مقصود سورة النمل من إصلاح الفرد والمجتمع عن طريق قصص الأنبياء (موسى وداود وسليمان)، وفيه ثلاثة مباحث:-
المبحث الأول: الأنبياء وحاجة الخلق إليهم.
المبحث الثاني: موسى – عليه السلام.
المبحث الثالث: داود وسليمان – عليهما السلام.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

الفصل الثاني
الاستدلال على مقصود السورة من إصلاح الفرد والمجتمع عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين

وفيه مباحث:-

المبحث الأول:

الأنبياء وحاجة الخلق إليهم

المبحث الثاني:

موسى – عليه السلام–

المبحث الثالث:

داود وسليمان -عليهما السلام-

المبحث الأول
الأنبياء وحاجة الخلق إليهم

خلق الله – سبحانه وتعالى – الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه بالعقل على كثير من المخلوقات، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وكفل له رزقه ومؤنته، مؤكدًا ذلك في كتابه بكل أنواع التأكيد؛ لأنه - سبحانه وتعالى – لم يخلقه عبثًا، ولم يتركه سدى، وإنما خلقه لغاية عظمى، وهدف أسمى، لقد خلقه الله – تعالى – لعبادته، وعمارة الأرض، والقيام بالمنهج الإلهي على أكمل وجه.

ولم يكن هذا المنهج بالأمر الميسور لكل الناس يدركونه بعقولهم؛ لأن العقول تتفاوت من إنسان لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن زمان لآخر، ولو ترك الله العباد لأهوائهم، ووكلهم إلى أنفسهم لفسدت الأرض، وعمت البلوى، وشاعت الفوضى، وضل الناس عن الغاية التي من أجلها خلقوا وهي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، فمن أجل ذلك اقتضت حكمة الله ورحمته – ﷻ – أن يرسل رسلاً من جنس بني آدم إلى أقوامهم فيوحي إليهم ما يشاء، فيبلغون بإذنه مراده من الخلق هؤلاء هم الرسل الذين اصطفاهم الله من بين سائر خلقه، وصنعهم على عينه، وكل رسول وكل نبي يجب توقيره، وتبجيله، وإنزاله المنزلة اللائقة به، فلا يرمى بذنب ولا عيب، ولا يتهم في نسب ولا عرض، أو كذب، أو خيانة؛ لأنهم أطهر الخلق أجمعين، اختارهم الله من بين الناس كلهم ونقاهم وصفاهم ورفع درجتهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

وبداية نذكر تعريف النبي والرسول:-

أولاً: تعريف "النبي":-

وهو من "النبأ" محركة بمعنى الخبر، ونبأ، وأنبأ بمعنى أخبر، ومنه اشتق النبي، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣][٤]، وإنما سمي النبي نبيًا؛ لأنه مخبر عن الله – تعالى – وأمره ووحيه، قال – تعالى -: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٥]، و"النبوة" و"النباوة" ما ارتفع من الأرض، فإن جعلت "النبي" مأخوذًا منه يكون المعني أنه شَرُفَ على سائر الخلق[٦]،

"والنبي هو من يصطفيه الله من عباده البشر؛ لأن يوحي إليه بالدين والشريعة التي فيها هداية الناس، وأصله: النبئ بالهمز من أنبأ لأنه ينبئ عن الله تعالى أو لأنه ينبأ بما يوحي إليه جرى فيه التخفيف بقلب الهمزة ياء كما قيل: البرية في البريئة وقد قرئ النبيء على الأصل، ويجمع النبي على النبيين والأنبياء، وإذا ورد النبي في القرآن معرفًا بأل، فالمراد به الرسول -ﷺ- وإذا ورد منكرًا أو معرفًا بالإضافة فالمراد غيره"[٧].

"والنبوة واسطة بين الخالق والمخلوق من تبليغ شرعه وسفارة بين الملك – سبحانه وتعالى – وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم لخلقه ليخرجهم من الظلمات إلى النور وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها كما يظن بعض الناس، وإنما هي محض فضل إلهي ومجرد اصطفاء رباني، وأمر اختياري، فهو جل وعلا كما أخبر عن نفسه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾"[٨].

فالنبوة إذًا لا تأتي باختيار النبي ولا تنال بطلبه ولذلك لما قال المشركون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [٩]، أجابهم الرب – تبارك وتعالى – بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [١٠]، فالله – تعالى – هو الذي يقسِم ذلك، ويتفضل به على من يشاء من الناس، ويصطفي من يشاء من عباده، ويختار من يشاء من خلقه، ما كانت الخيرة لأحدٍ غيره، وما كان الاجتباء لأحد سواه"[١١].

ثانيًا: تعريف الرسول:-

الإرسال في اللغة: التوجيه فإذا بعثت شخصًا في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكيًا عن قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[١٢]، وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، آخذًا من قول العرب: "جاءت الإبل رسلاً" أي: متتابعة، وجمع رسول: رُسُلْ، ورَسْلُ، والمرسلات: الرياح، ويقال الملائكة"[١٣]،

"وعلى ذلك فالرسل إنما سموا بذلك لأنهم وجهوا من قبل الله – تعالى – قال ربنا – ﷻ -: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [١٤]، ومن ثم فهم مبعوثون برسالة معينة مكلفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

الفرق بين الرسول والنبي:-

لا يصح قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي، ويدل على بطلان هذا القول ما ورد في عدد الأنبياء والرسل، فقد ذكر الرسول –ﷺ– أن "عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدد الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً"[١٥]، ويدل على الفرق أيضًا ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ [١٦]، ووصف الله – سبحانه وتعالى – بعض رسله بالنبوة والرسالة يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله –تعالى- في حق موسى – عليه السلام-: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [١٧].

والشائع بين العلماء أن الرسول أعم من النبي، فالرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وهذا الذي ذكروه بعيد لأمور:-

الأول: أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ [١٨]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أنّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله –تعالى-، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول -ﷺ- فيما يرويه عنه ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: خرج علينا النبي -ﷺ- يومًا، فقال: "عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد"[١٩]، فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

"والتعريف المختار أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله"[٢٠].

والإيمان بالرسل والأنبياء واجب وأصل من أصول الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٢١]، وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢٢].

وعلى هذا فمن لم يؤمن بالرسل فقد ضل ضلالاً بعيدًا وخسر خسرانًا مبينًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٢٣].

"والإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله – تعالى – بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفًا، ولم يغيروه، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن الله – تعالى – فضل بعضهم على بعض، وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين، وهو التوحيد وأما فروع الشرائع فقد تختلف لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا – ﷻ "[٢٤].

وقد وضح القرآن الكريم الغاية من إرسال الرسل في قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٢٦]، بل إنه – سبحانه وتعالى – قطع على نفسه عهدًا تفضلاً منه ورحمة ألا يعذب قومًا حتى يعذر إليهم، فال – سبحانه -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٢٧]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾[٢٨].

ومن هنا تطوف آيات السورة الكريمة في هذا الفصل حول الحديث عن ثلة من المصطفَيْن الأخيار الذين اختصهم الله برسالته لهداية الخلق والأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم، ومن رحمته – تعالى – بخلقه أنه لا يتركهم لأنفسهم تتجاذبهم الأهواء والشهوات، وتتنازعهم الأفكار الهدامة، والآراء الخبيثة، ويوسوسهم الشيطان حتى يوردهم الهاوية،

فاقتضت رحمته وحكمته – تعالى – أن يبعث في الناس من يقوم اعوجاجهم، ويكون على يديه صلاح أحوالهم من الأنبياء والمرسلين.

ولهذا قال – سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[٢٩].

ولقد ذكر القرآن الكريم في آياته خمسة وعشرين نبيًا منهم ثمانية عشر قد ذكروا في سورة الأنعام في قوله – تعالى -: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٠]، ثم ذكر السبعة الباقين متفرقين في سور من القرآن الكريم، والله – تعالى – حين يتابع في إرسال هؤلاء الرسل كما قال – سبحانه وتعالى -: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[٣١]، إنما لحكم بالغة وغايات سامية، وهي في مجملها تحقيق العبودية لله رب العالمين، قال – سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣٢]، وتحقيق العبودية لله – تعالى – يستلزم الإيمان بالله –تعالى- وملائكته وكتبه ورسله دون تفريق بين أحد من رسله، وكذلك الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أمور غيبية لا تعرف إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين.

وفي هذا يقول صاحب كتاب الوحي المحمدي:-

"إن حكمة الحكماء وعلومهم آراء بشرية ناقصة، وظنون لا تبلغ من عالم الغيب إلا أنه موجود مجهول، وهي عرضة للتخطئة والخلاف، ولا يفهمها إلا فئة مخصوصة من الناس، وما كل من يفهمها يقبلها، ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها يرجعها على هواه وشهواته، إذ لا سلطان لها على وجود العالم بها، فلا يكون لها تأثير الإيمان وإسلام الإذعان، لذا كان الناس في حاجة إلى نظام من عند الله – ﷻ – يخضع له الإنسان ويطيع، فالنوع البشري يأبى طبعه أن يدين ويخضع لمن هو مثله في بشريته، وإنما يدين لمن يعتقد أن له سلطانًا غيبيًا عليه بما يملكه من القدرة على النفع والضر لذاته"[٣٣].

ومن غايات إرسال الرسل: بيان الشريعة التي يسير الناس عليها، وينهجون نهجها، كما قال – سبحانه وتعالى -: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٣٤]، وعن حاجة الناس إلى الشريعة يقول ابن القيم: "إن حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، حتى إلى علم الطب، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم، وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبدانًا وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، ولعل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم

عادة وعرفًا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء حتى إن كثيرًا من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم، وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، ومبناها أيضًا على الوحي المحض، والحاجة إلى الشريعة تفوق الحاجة إلى التنفس، فضلاً عن الطعام والشراب؛ لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر"[٣٥].

وتأتي الحاجة إلى الوحي الإلهي من حاجة الناس إلى دستور ينظم لهم شئون حياتهم ويحفظ لهم حقوقهم، ويحمي لهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ولابد لهذا الدستور أن يكون إلهيًا بعيدًا عن فلسفات العقول ونزعات الهوى، وما الضنك الذي تعيشه الأمة بكل صوره من مذلة ومهانة وسفك دماء وهتك أعراض وغير ذلك إلا نتيجة حتمية لإعراضها عن ذكر الله – تعالى – المتمثل في الوحي الإلهي، واتباع المرسلين، وكما قال – سبحانه -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٣٦].

"ومن هنا نعلم اضطرار الخلق وحاجتهم إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر عنه، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل لمعرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله إلا على أيديهم، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم توزن الأقوال، والأعمال، والأخلاق، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى وأهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها والروح إلى حياتها"[٣٧].

وفي هذا الجزء من الدراسة نتعرف من خلال سورة النمل المباركة على بعض الأنبياء والمرسلين كما ذكرهم الله مادحًا لهم، ومثنيًا عليهم، وواصفًا لهم بالصفات التي تليق بهم، كما نتعرف أيضًا على مناهجهم في إصلاح الناس وإرشادهم لما فيه خيري الدنيا والآخرة، حتى نسير على هداهم؛ لأن الله - تعالى – هداهم إليه صراطًا مستقيمًا، وأمر النبي -ﷺ– أن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم، فقال – سبحانه وتعالى- : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [٣٨].

ونحن المسلمين مأمورون بما أمر به النبي -ﷺ– حيث يقول – سبحانه - : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣٩].

المبحث الثاني
موسى – عليه السلام –

ابتدأت سورة النمل المباركة قصصها لأنبياء الله ورسله – عليهم السلام – بقصة سيدنا موسى – عليه السلام – وقد ذكر الله قصته في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن العظيم، وقد ورد ذكر اسمه – عليه السلام – في أربع وثلاثين سورة وهي حسب ترتيبها في المصحف كالتالي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، وإبراهيم، والإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والفرقان، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والسجدة، والأحزاب، والصافات، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والأحقاف، والذاريات، والنجم، والصف، والنازعات، والأعلى.

وقد فصل القرآن قصة موسى – عليه السلام – في مواضع وأجملها في مواضع أخرى، حسبما يقتضي المقام وتستدعي الظروف التي كان ينزل فيها القرآن على النبي -ﷺ-.

وقد حظي سيدنا موسى – عليه السلام – بتشريف من الله – تعالى – له في خاتم كتبه المنزلة على خاتم رسله محمد -ﷺ- بهذا القدر من الثناء العطر والذكر الجميل **ومن ذلك:-**

- اصطفاء الله – تعالى – له، كما قال – سبحانه -: **(يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)**[٤٠].

-تكليم الله له بدون واسطة كما قال – سبحانه -: **(وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا)**[٤١].

-ألقى الله عليه محبة منه، كما قال – سبحانه -: **(وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي)**[٤٢].

-أن الله – تعالى – صنعه ورباه على عينه، قال تعالى: **(وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ)**[٤٣].

-أن الله – تعالى – اصطنعه لنفسه، كما قال – سبحانه -: **(وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي)**[٤٤].

وغير ذلك من الثناء العظيم من الله – تعالى – لعبده ورسوله موسى – عليه السلام.

وذكر قصة موسى – عليه السلام – بهذه الكثرة في القرآن يشير إلى غايات وأهداف سامية، منها:-

الصبر والمثابرة من أجل دعوة الله – ﷻ – حتى لا يعبد في الأرض سواه، ولهذا أمر الله نبيه محمدًا -ﷺ- أن يصبر ويحتسب كصبر أولئك الرسل الكرام الذين سبقوه في هذا الطريق ومنهم موسى – عليه السلام – قال تعالى: **(فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ)**[٤٥]، والصبر على الأمم من أخلاق الأنبياء والمرسلين، فقد حدث أن رجلاً من المنافقين قال ورسول الله -ﷺ- يعطي المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين[٤٦]: إنها لعطايا ما يراد بها وجه الله، فبلغ ذلك رسول الله -ﷺ- فتغير لونه، ثم قال: "يرحم الله أخي موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[٤٧]، ونلاحظ أن الله – تعالى – أراد إكرام كليمه موسى – عليه السلام – بتعديد مآثره في القرآن الكريم وكذلك إرضاؤه جزاء ما لاقى من طغيان فرعون وملأه ثم الأدهى من ذلك، والأمرُّ ما لاقى من قومه بني إسرائيل من جحود ونكران وسخرية واستهزاء ونكوص على الأعقاب وعودة إلى الوثنية بعد أن نجاهم الله من فرعون وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ولا أشد على النفس من أن ترى من أحسنت إليه يسيء

إليك، ولكن ما الصنيع وتلك طبيعة اليهود الذين اجتمعت فيهم كل الرذائل التي تفرقت في الأمم، فلا جرم والحالة هكذا أن يكون على عاتق سيدنا موسى – عليه السلام– تبعات جسام ومسئوليات عظام **يمكن إجمالها فيما يلي:-**

أولاً: مجابهة ومواجهة فرعون وملأه الذين جاوزوا الحد في الطغيان والفساد في الأرض حتى قال الله عن فرعون: (إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ)(٤٨).

وقد أمر الله موسى بمواجهة فرعون وذلك في قوله – تعالى -: (ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ)(٤٩).

وقد وصف الله فرعون مع قومه بالفسوق في قوله تعالى: (فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ)(٥٠).

ثانيًا: استنقاذ بني إسرائيل من العبودية والاستضعاف، وإلى هذا يشير قول الله – تعالى -: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ)(٥١).

ثالثًا: مواجهة جحود بني إسرائيل وكفرهم: وإلى هذا يشير قوله – تعالى -: (وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ)(٥٢).

رابعًا: إقامة الدولة وتطبيق الشريعة:-

وإلى إقامة الدولة يشير قوله – تعالى - : (وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ)(٥٣).

وإلى إقامة الشريعة وتطبيقها يشير قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ)(٥٤).

كما يمكن القول أن من دواعي ذكر قصة موسى – عليه السلام– حتى ليربوا ذكر اسمه في القرآن على المائة مرة "ما يوجد من أوجه الشبه الكثيرة بين ما جاء به موسى – عليه السلام– وما جاء به محمد -ﷺ-، كما سجلت ذلك سورة المزمل في قوله تعالى: (إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ

رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً﴾[٥٥]، ونلاحظ أن أول إشارة إلى كتب الأولين جاءت في سورة الأعلى، وهي تدل على أن المخاطبين كانوا لا يجهلون أن هناك كتبًا إلهية أنزلها الله على أنبيائه، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾[٥٦].

وذكر هذا في مقام عرض الدعوة وأهدافها في هذه الفترة المبكرة في مكة للإعلام بأن ما يبشر به الرسول الخاتم محمد -ﷺ- هو استمرار لما أنزل على الرسل السابقين – صلوات الله عليهم وسلامه – وخاصة الذين كان لهم في أذهان المخاطبين مكانة باعتبار وجود أقليات يهودية تؤمن بموسى – عليه السلام – وتنتسب إليه، كما أن العرب كانوا ينتسبون إلى إبراهيم – عليه السلام – ومنهم من كان على دينه"[٥٧].

وقصة موسى – عليه السلام – أشبه قصص الرسل بقصة سيدنا محمد -ﷺ-، فهو صاحب شريعة كون بها أمة ذات ملك، وله مع فرعون قصة ورسالة، وله مع بني إسرائيل قصة ورسالة، وقد لاقى عنتًا وتكذيبًا من الجانبين، وانتهى أمره وأمر المؤمنين معه إلى النصر كما انتهى أمر المعارضين المستكبرين عن الإيمان بالله إلى الزوال والعذاب الأليم بعد طول مقاومة وعناد"[٥٨].

"وقد قاومت دعوته – عليه السلام – الظلم والطغيان والإلحاد، وواجهت عدوًا داخليًا وعدوًا خارجيًا، وحققت على كليهما الانتصار بتأييد الله وعونه الذي لا يتخلى عن أصحاب الرسالات"[٥٩].

"هذا، ولم تذكر سورة النمل شيئًا عن ميلاد سيدنا موسى – عليه السلام – حتى مسيره بأهله من مدين[٦٠] متجهًا إلى مصر[٦١]، ذلك لأن سورًا أخرى من القرآن قد عنيت بتوضيح ذلك، والقرآن لم يكن أبدًا سجلاً للتأريخ والمناسبات، وإنما هو علاج وشفاء للمؤمنين كان يتنزل حسب مقتضى الحال، ومن هنا كان حديث سورة النمل عن سيدنا موسى – عليه السلام – على النحو التالي:-

أولاً: كلام الله لموسى – عليه السلام – وبدء الرسالة:-

يقول الله – عز وجل -:

﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٦٢].

هذا جانب من قصة موسى – عليه السلام – كما جاءت في هذه السورة، وقد جاءت في سور أخرى بصورة أوسع، كسورة: البقرة، والأعراف، ويونس، وطه، والشعراء، والقصص، وغير ذلك من السور التي تعرضت لذكر قصة موسى – عليه السلام-.

ونلاحظ أن آيات سورة النمل التي تحدثت عن موسى – عليه السلام – افتتحت بقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾، "أي: اذكر يا محمد -ﷺ- حين قال موسى لأهله – أي:

زوجته – إني أبصرت ورأيت نارًا، قال المفسرون: وهذا عندما سار من مدين إلى مصر، وكان في ليلة مظلمة باردة، وقد ضل عن الطريق، وأخذ زوجته الطلق[٦٣]، وقوله –تعالى-: : (سَءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) أي: سآتيكم بخبر عن الطريق إذا وصلت إليها (أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ) أي: أو آتيكم بشعلة مقتبسة من النار (لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) أي: لكي تستدفئوا بها، (فَلَمَّا جَآءَهَا) أي: فلما وصل إلى مكان النار رأى منظرًا هائلاً عظيمًا، حيث رأى النار تضطرم[٦٤] في شجرة خضراء، لا تزاد النار إلا توقدًا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء، قال ابن عباس: لم تكن نارًا وإنما كانت نورًا يتوهج فوقف موسى -عليه السلام- متعجبًا مما رأى وجاءه النداء العلوي: (نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) أي نودي من جانب الطور بأن بوركت يا موسى وبورك من حولك وهم الملائكة، قال ابن عباس: معنى "بورك" تقدس و"من حولها" الملائكة، قال أبو حيان: وبدؤه – سبحانه – بالنداء تبشير لموسى وتأنيس له ومقدمة لمناجاته، وجدير أن يبارك من في النار ومن حواليها؛ إذ قد حدث أمر عظيم، وهو تكليم الله لموسى وتنبيئه: (وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ) أي تقدس وتنزه رب العزة، العلي الشأن، الذي لا يشبه شيء من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله"[٦٥].

فعن أبي موسى[٦٦] – ﷺ – قال: قام فينا رسول الله -ﷺ– بخمس كلمات، فقال: "إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور – وفي رواية أبي بكر: النار – لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[٦٧].

وقوله – سبحانه -: (يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) إعلام منه – ﷻ – لعبده موسى بأن المخاطب له، إنما هو الله – تعالى – الذي قهر كل شيء وغلبه، والذي أحكم كل شيء خلقه، والضمير في قوله إنه للشأن وجملة أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان لذاته – ﷻ -.

أي: يا موسى إن الحال والشأن إني أنا الله العزيز الحكيم الذي أخاطبك وأناجيك، فتنبه لما سآمرك له، ونفذ ما سأكلفك بفعله"[٦٨].

ثانيا: الآيات التي أيد الله بها موسى – عليه السلام-:-

١- آية العصا:-

"كان النداء الأسمى من الله – تعالى – لعبده موسى إيذانًا باصطفائه، ووراء هذا الاصطفاء والتكليف بحمل الرسالة إلى أكبر الطغاة وأعتاهم في الأرض في ذلك الحين، وبناءً على ذلك فقد أيد الله كليمه بالمعجزات الباهرات التي تعينه وتعضده في مهمته"[٦٩] قال الله – تعالى -: (وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ)[٧٠].

"في هذه الآيات أمر الله موسى – عليه السلام– أن يلقي عصاه من يده؛ ليظهر له دليلاً واضحًا على أنه – سبحانه – الفاعل القادر على كل شيء، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة الحركة؛ ولهذا قال تعالى: "فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ "، والجان: ضرب من الحيات، أسرعه حركة وأكثره اضطرابًا، وفي الحديث نهى عن قتل جنان[٧١] البيوت[٧٢]، فلما عاين موسى ذلك "ولى مدبرًا ولم يعقب" أي لم يلتفت من شدة فرقه[٧٣]، "يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون" أي: لا تخف مما ترى، فإني أريد أن أصطفيك رسولاً وأن أجعلك نبيًا وجيهًا.

وقوله –تعالى-: "إلا من ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء فإني غفور رحيم"، هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على عمل سيئ ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ)[٧٤]، وقال تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ)[٧٥]، والآيات في هذا كثيرة جدًا"[٧٦].

٢- آية اليد:-

وبعد أن اطمأن موسى وسكن، بدأ تجهيزه من قبل ربه بالمعجزة الثانية، قبل أن يكشف له عن جهة الرسالة ووجهة التكاليف:-

قال تعالى: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ)، وكان هذا، وأدخل موسى يده في فتحة ثوبه - وهي جيبه – فخرجت بيضاء مشرقة لا عن مرض، ولكن عن معجزة، ووعده ربه أن يؤيده بتسع آيات من هذا النوع الذي شاهد منه اثنتين، وكشف له حينئذٍ عن وجهته التي من أجلها دعاه وجهزه، قال تعالى: (فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ)، ولم يعدد هنا بقية هذه الآيات التسع، التي كشف عنها في سورة الأعراف، وهي سنون الجدب، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم؛ لأن التركيز هنا على قوة الآيات لا على ماهيتها"[٧٧].

ونلاحظ أن المعجزة الأولى كانت بتغيير ما في يده وقلبها من جماد إلى حيوان، والثانية بتغيير يده نفسها وجعلها ذات أوصاف نورانية.

"في تسع آيات إلى فرعون وقومه" أي: هاتان المعجزتان أو الآيتان في جملة أو من تسع آيات أخرى أؤيدك بهن، وأجعلها برهانًا لك مرسلا بها إلى فرعون وقومه، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ)[٧٨]، وقوله تعالى: "إنهم كانوا فاسقين" أي: لأنهم كانوا قومًا عصاة خارجين عن دائرة الحق بتأليه فرعون، وهذا تعليل لما سبق من تأييده بالمعجزات"[٧٩].

ثالثًا: موقف فرعون وقومه من دعوة سيدنا موسى – عليه السلام-

قال تعالى: (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)[٨٠]، "فلما جاءتهم آياتنا" أي: ظهرت على يد موسى[٨١]، مضيئة تدل على الحق، ويبصرها كما تبصر الأبصار الشمس، "قالوا هذا سحر مبين"، لم يكفهم مجرد القول بأنه سحر، بل قالوا: "مبين" ظاهر

لكل أحد، وهذا من أعجب العجائب؛ إذ الآيات المبصرات والأنوار الساطعات، تجعل من بين الخزعبلات والسحر!" [٨٢].

رابعًا: عاقبة المتقين، وعاقبة المجرمين:-

قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٨٣].

ونلاحظ في هذه الآية أن الله "أوجز بقية القصة وانتقل إلى العبرة بتكذيب فرعون وقومه الآيات؛ ليتعبر بذلك حال الذين كذبوا بآيات محمد -ﷺ- وقصد من هذا الإيجاز طي بساط القصة لينتقل منها إلى قصة داود ثم قصة سليمان المبسوطة في هذه السورة"[٨٤].

قوله تعالى: "وجحدوا بها" "الجحود هو إنكار الحق مع العلم بأنه حق، يقال: جحد فلان حق غيره، إذا أنكره، مع العلم به، وقوله –تعالى-: "واستيقنتها" من الإيقان وهو الاعتقاد الجازم الذي لا يطرأ عليه شك، وجيء بالسين لزيادة التأكيد.

والمعنى: وجحد فرعون وقومه هذه المعجزات التي جاء بها موسى من عند ربه – تعالى – مع أن أنفسهم قد علمت علمًا لا شك معه أنها معجزات، وليست سحرًا، ولكنهم خالفوا علمهم ويقينهم ظلمًا للآيات حيث أنزلوها عن منزلتها الرفيعة وسموها سحرًا وعلوًا، أي: ترفعًا واستكبارًا عن الإيمان بها، فانظر أيها العاقل كيف كان عاقبة المفسدين؟ لقد كان عاقبتهم أن أغرقهم الله جميعًا، بسبب كفرهم وظلمهم وجحودهم وفسادهم في الأرض.

وقوله تعالى: "ظلمًا وعلوًا" منصوبان على أنهما مفعولان لأجله أو على أنهما حالان من فاعل جحدوا.

أي: جحدوا الآيات مع تيقنهم أنها من عند الله، من أجل الظلم لها والتعالي على من جاء بها، أو جحدوا بها حالة كونهم ظالمين لها، ومستكبرين عنها.

وفي قوله – سبحانه - : "فانظر كيف كان عاقبة المفسدين" فهم كانوا كفرعون وقومه في جحودهم الحق، الذي جاءهم به الرسول -ﷺ- مع يقينهم بأنه حق، ولكن حال بينهم وبين الإيمان بالحق أسباب متعددة، على رأسها العناد، والحسد، والعكوف على ما كان عليه الآباء، والكراهية لتغيير الأوضاع التي تهواها نفوسهم، وزينتها لهم شهواتهم"[٨٥].

ومن هنا يكون لنا في مصارع الظالمين العبرة والعظة حتى نتجنب أخطاءهم وعيوبهم، وفي قصة موسى – عليه السلام- وفرعون نجد أن الله قد أمهل فرعون كثيرًا، لكن فرعون لما تمادى في الظلم والطغيان أخذه الله هو ومن معه على شاكلته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٨٦]، "هذه صيحة تحذير وأسلوب ترهيب ووعيد لكل من انتكب الطريق وسار على طريق الضلال والغي وترك سبيل الهدى والنور ولذلك يقول النبي -ﷺ-: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [٨٧]"[٨٨].

المبحث الثالث
داود وسليمان -عليهما السلام-

يتناول هذا المبحث حديث سورة النمل عن نبيين كريمين من أنبياء الله – تعالى – إلى بني إسرائيل، وهما سيدنا داود وابنه سليمان – عليهما الصلاة والسلام – وإنما جمعتهما معًا في هذا المبحث لأن القرآن الكريم كثيرًا ما يذكرهما مجتمعين، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾[٨٩]، ويقول – سبحانه -: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾[٩٠]، وقال - تعالى – في سورة النمل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩١].

في هذه الآية الكريمة "كلام مستأنف مسبوق لتقرير ما سبق أن النبي -ﷺ– يلقى القرآن من لدن حكيم، ولما كانت قصتا داود وسليمان – عليهما الصلاة والسلام – من جملة القرآن الكريم الذي تلقاه النبي -ﷺ– من لدنه – تعالى – كقصة موسى – عليه السلام– وتصديره الكلام هنا بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير أو علمًا سنيًا[٩٢] عزيزًا[٩٣]"[٩٤].

ونلاحظ في هذه الآية أن الله – تعالى – "يخبر عما أنعم به على عبده ونبيه: داود وابنه سليمان – عليهما السلام – من النعمة الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والملك والتمكين التام، والنبوة والرسالة في الدين"[٩٥]، "وعلمًا" يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال"[٩٦].

وقوله –تعالى-: "وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين" "دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباده المؤمنين"[٩٧].

"وقالا" "أي: قال كل واحد منهما شكرًا لما أوتيه من العلم "الحمد لله الذي فضلنا" بما آتاناه من العلم[٩٨] "على كثير من عباده المؤمنين" يعني: "وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا"[٩٩].

<u>العلم في قصة سليمان – عليه السلام-:-</u>

نلاحظ في قوله – تعالى -: "ولقد آتينا داود وسليمان علمًا": "تنويه بشأن العلم وعلو منزلته، إذ لا تستوي أمة عالمة وأمة جاهلة، ولعل المسلمين يهتمون بالعلم ويعنون به عنايتهم بأهم أمورهم، ومصالحهم حتى لا يسبقهم غيرهم في هذه العلوم، وحتى لا يقفوا والقافلة تسير، ولا يجمدوا والفلك يتحرك ويدور، ولعل المسلمين يفهمون أن نبي الله داود وولده سليمان لم يُكَوِّنا مُلكًا إلا على أساس العلم وقاعدة المعرفة، فإذا أراد المسلمون أن يكونوا في عداد الأمم الناهضة والشعوب الحية فليهتموا بالعلم من جميع نواحيه، وما تسلط عليهم عدوهم إلا لأنه عَلِم وجهلوا، وتَقَدَّم وتأخروا، ونشط وناموا"[١٠٠].

والحديث عن سيدنا سليمان – عليه السلام– إنما هو حديث عن رجل آتاه الله – تعالى – مع النبوة ملكًا عظيمًا استعمل ما آتاه الله من النبوة فيما آتاه الله من الملك، فكانت مملكته تمثل النموذج الأمثل للدولة الراشدة، والمثال الأعلى للحاكم العادل، وقد كان العلم النافع من

دعائم هذه المملكة وركائزها، ذلك العلم الذي يعود على الأفراد والمجتمعات بالخير ويحقق مراد الله في الأرض، والمتدبر لآيات سورة النمل عامة وقصة سيدنا سليمان خاصة يلاحظ اهتمامًا عظيمًا بالعلم، وتركيزًا كبيرًا عليه، حيث وردت مادة العلم في السورة ثلاث عشرة مرة، وفي قصة سيدنا سليمان خمس مرات، والاهتمام بالعلم والحث عليه ليس بالأمر العجيب، إذ به قيام الدول وارتفاع أعلامها وهو من أسباب بقاء الأمم وارتقائها"[١٠١].

"والاجتهاد في العلم يكسب العز، ويزيد في النباهة والقدر، فهو راحة العاقل، والتواني عنه عادة الجاهل، ورتبة العالم من أعلى الرتب، ودرجة العلم أشرف الدرج.

قال الجاحظ[١٠٢]:

العلم عزيز الجانب، لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك كنت من إعطائه إياك البعض على خطر"[١٠٣].

ولهذا كان العلم من أجل النعم التي امتن الله بها على نبي الله داود وولده سليمان – عليهما السلام -، قال – سبحانه وتعالى -: **(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا)**[١٠٤].

<u>من نعم الله على داود وسليمان – عليهما السلام - :-</u>

قال تعالى: **(وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ)**[١٠٥].

"يخبر الله – تعالى – عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان – عليهما السلام – من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والملك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ ولهذا قال تعالى: "وورث سليمان داود"، أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثة المال، إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله - ﷺ– في قوله: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة"[١٠٦]، وقوله – تعالى - : **(وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ)**[١٠٧]، أي: أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم، حتى أنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله محمد -ﷺ-، ومن زعم أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان ابن داود - كما قد يتفوه به كثير من الناس – فهو بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم، ويعرف ما تقول، وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل، ولكن الله – سبحانه – كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها، ولهذا قال تعالى: "علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء" أي: مما يحتاج إليه المَلِك "إن هذا لهو الفضل المبين" أي: الظاهر البين لله علينا"[١٠٨]، "وهذا إقرار بالنعمة وشكر لها ومحمدة"[١٠٩]، "كما قال النبي -ﷺ-: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر"[١١٠]، أي: أقول هذا القول شكرًا لا فخرًا"[١١١].

"ونلاحظ في الآية الكريمة أن سيدنا سليمان – عليه السلام– قد خص الطير بالذكر؛ لأنه كان من جنوده، وكان يحتاجه كثيرًا؛ ليظله من الشمس بجسمه، ويلطف الهواء بجناحيه، ويحمل البريد، ويأتيه بأخبار المناطق البعيدة، وبهذه المعجزات التي في الآية الكريمة تمكن

سليمان – عليه السلام – من إقامة حضارة واسعة شملت البر، والبحر، وصدق في قوله الذي حكاه الله – تعالى – بقوله: (وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ)[112]"[113].

القوة في موكب سليمان – عليه السلام-:-

قال تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)[114].

قوله –تعالى-: "وحشر لسليمان" "حشر" أي: جمع، والحشر الجمع، ومنه قوله- تعالى-: (وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) [115]"[116].

"واختلف الناس في مقدار جند سليمان – عليه السلام – اختلافًا شديدًا لم أرد ذكره لعدم صحة التحديد، غير أن الصحيح أن ملكه كان عظيمًا ملأ الأرض وانقادت له المعمورة"[117].

وقوله –تعالى-: "فهم يوزعون" "أي: فهم يكفون"[118] أو معناه "يحبسون وهذا لا يكون إلا إذا كان كل قبيل[119] منها وازع، ويكون له سلطة على من يرده ويكفه"[120].

ونلاحظ أن الله – تعالى – ذكر في الآية جنوده من الجن والإنس والطير دون غيرهم؛ لأن الارتباط بينها كان وثيقًا، بحيث تمنع من التفرق والانتشار، وتلتزم بالتجمع والنظام، فهم يوزعون أي يمنعون من التشتت. هذا أمر، الأمر الثاني: أن الجنود من الجن هي التي تعمل في المهمات السرية، والجنود من الإنس هي التي تعمل في العلن، والجنود من الطير هي التي تكلف بالرسائل في المسافات البعيدة"[121].

ويتضح لنا بالنظر في هذه الآية المباركة أهمية النظام والتناسق الذي يجب أن يكون عليه الجيش في الدولة المسلمة لأن ذلك يملأ قلوب الأعداء رعبًا وهيبة ولهذا قال الله – تعالى –: (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ)[122].

قصة سليمان – عليه السلام– مع النملة:-

"عالم النمل[123] هو أحد العوالم الكثيرة من مخلوقات الله – تعالى – التي تسبح بحمده وتقدس له، وتلك الأمة العجيبة من الأمم العديدة التي لا يعلم حصرها إلا الله رب العالمين، حيث يقول – سبحانه -: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)[124]".

ولقد شرف الله – تعالى – هذه المملكة بأن جعل لها سورة كاملة تحمل اسمها في القرآن الكريم وذكر الله في شأنها ما يوحي بالثناء والذكر الحميد إذ تحدث عنها في مقام الناصح الأمين، ويكفي في شرفها أيضًا أن الله – تعالى – عاتب فيها نبيًا من الأنبياء، فقد ثبت أن النبي -ﷺ– قال: "قرصت نملة نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل، فأحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح"[125]، ولا يخفى ما في هذا النص من سيادة ومكانة تعتز بها مملكة النمل أبد الدهر.

هذا وتعد مملكة النمل من عالم الحشرات، وهي تتكاثر بصورة سريعة، ويدل على ذلك بقاء نوعها إلى الآن على ما يصيبها من الهلاك والدمار .

"ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف، وتؤدى كلها بنظام عجيب، يعجز البشر غالبًا عن إتباع مثله، على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عالٍ"[126].

هذا، والنمل جند من جنود الله – تعالى – التي لا يعلم عددها إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[١٢٧]، عود على بدء: قال تعالى في سورة النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[١٢٨].

معنى قوله –تعالى-: "حتى إذا أتوا على واد النمل": "حتى هنا ابتدائية، أي: يبتدأ بها الكلام، وقوله: "قالت نملة" جواب إذا.

وقوله:"لا يحطمنكم" من الحطم، وأصله: كسر الشيء، يقال: حطم الشيء إذا كسره، والمراد به هنا: الإهلاك والقتل.

والمعنى: وحشر لسليمان جنوده، فسار هؤلاء الجنود في قوة ونظام، حتى إذا أتوا على واد النمل: أي: على مكان يعيش فيه النمل في مملكة سليمان، قالت نملة على سبيل النصح والتحذير بعد أن رأت سليمان وجنوده: "يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم" أي: ادخلوا أماكن سكناكم، وابتعدوا عن طريق هذا الجيش الكبير، وانجوا بأنفسكم، كي لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم"[١٢٩].

سليمان – عليه السلام – وموقفه من صاحب الرأى الآخر:-

"لم يكن سليمان – عليه السلام – مستبدًا ولا غليظًا، وإنما كان نبيًا وملكًا، ينظر إلى مخلوقات الله، ويقدر لها رأيها، ويسمع قولها، ويناقشها ليصل إلى الحق.

إنه – عليه السلام – جمع جنوده في حشد ضخم، وسار بهم، فلما اقترب من وادي النمل، قالت نملة لإخوانها: ادخلوا مساكنكم، حتى لا يقتلنكم سليمان وجنوده، وهم لا يشعرون بجريمتهم، فسمع سليمان حديث النملة، ولم يغضب، ولم يعاتب، ولم يغير أمرها لإخوانها، وإنما استحسن صنيعها، وتوجه بالشكر لله الذي علمه منطق النمل"[١٣٠].

والقارئ المتدبر لآية النملة السابقة، يمكنه الاستفادة من دروسها وعبرها، حتى يكون له نورًا يضيء له الطريق، وزادًا يبلغه الغاية، ومن هذه الدروس:-

أولاً: أخذ الحيطة والحذر:-

"إن المسلمين أولى الناس بهذا الدرس إذ أن أعداءهم يحيكون لهم المكائد، ويدبرون لهم المصائب، وذلك على مر الزمان قديمًا وحديثًا، والتاريخ خير شاهد على ذلك، وما من مرة يغفل فيها المسلمون عن حقهم ويبعدوا عن دينهم - الذي هم به كل شيء وبدونه لا شيء – إلا وينقض عليهم العدو فلا يدع منكرًا إلا وارتكبه فيهم، وصدق الله حين قال: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾[١٣١]، وهو القائل – عز شأنه -: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [١٣٢]، والقرآن الكريم عندما يسوق لنا قصة النملة مع نبي الله سليمان – عليه السلام – وقد صاحت في قومها تقول لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾[١٣٣] كأنما يريد القرآن أن يقول لنا نحن المسلمين: خذوا العبرة من هذه النملة، ولا تستنكفوا من ذلك؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها ولو كانت من نملة، وإن الأمم لا تقاس بالعدد ولا بالحجم، ولكن تقاس بالعقول السليمة التي تقود إلى الطريق المستقيم، وكم من أناس إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم

وإذا ما خالطتهم لم تر لهم حظًا في فهم ولا في عقل، والمتأمل يلمح في ثنايا الآية الكريمة أن تلك النملة المتحدثة كانت تقوم بمثابة الجندي المرابط الساهر على أمن الأمة والجماعة، فهو دائمًا على أهبة الاستعداد لا يفرط فيما وكل إليه من عمل، وما أسند إليه من مهام.

إنه لدرس عظيم يتعلمه المسلمون من هذه الآية مصورًا بأجمل تصوير، ومع ذلك، فقد جاء الأمر الإلهي يؤكد هذا الدرس صريحًا واضحًا وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[١٣٤]، هذا على صعيد الجبهة الخارجية، أما على صعيد الجبهة الداخلية فيقول – سبحانه وتعالى - : ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾[١٣٥]".

ثانيًا: التناصح فيما بينهم:-

ثاني هذه الدروس أن يتناصح المسلمون فيما بينهم ولا يقول كل واحد نفسي نفسي، أو المثل الدارج: أنا ومن بعدي الطوفان، فإنه بذلك لن ينجو، ولو نجا في الظاهر فإنه لن ينجو يوم القيامة من حساب ربه إذ أنه لم ينصح لأمته، والآية الكريمة توضح كيف أن النملة لم تتوار في جحرها؛ خشية الجند، وتوقع الهلاك تاركة بني جنسها يعانون، وإنما حذرت وأنذرت وأمرت الجميع بدخول مساكنهم، فكانت سببًا في نجاتها ونجاة بني جنسها، ويكفي أن الله – تعالى – قد خلد ذكرها في القرآن الكريم مادحًا فعلها وشاكرًا صنيعها، وكأن الله – ﷻ – يقول لكل مسلم ولكل داعية: إذا أردت أن يكتب اسمك في الخالدين في أعلى عليين فابذل النصح لأهل دينك وبني جنسك متزودًا بالإخلاص والعلم والحيطة والحذر، ومستمسكًا بالعروة الوثقى ولا تحزن لقلة السالكين، ولا تغتر لكثرة الهالكين، وإن اعتراك في الطريق سأم أو ملل ، وليعلم كل داعية وكل مصلح في كل زمان ومكان أن النصيحة من أعظم أسباب صلاح الفرد والمجتمع، وأن النصيحة واجب على كل داعٍ إلى الله – ﷻ -؛ لذا قال الرسول -ﷺ-: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[١٣٦].

"هذا حديث عظيم وعليه مدار الإسلام، ومعنى الدين النصيحة أي: عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله -ﷺ-: "الحج عرفة" أي: عماده وركنه الأعظم عرفة، وأما النصيحة لله تعالى ومعناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشرك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه – سبحانه وتعالى – من جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته، وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، وأما النصيحة لكتابه – سبحانه وتعالى – فالإيمان بأنه كلام الله – تعالى -، وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه، وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والتصديق بما فيه، والوقوف على أحكامه، وتفهم علومه، وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، ونشر علومه والدعوة إليه، وأما النصيحة لرسول الله -ﷺ-، فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره، ونهيه، ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته، وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من

أصحابه، ونحو ذلك، وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم مما يقوم بأمور المسلمين، وقال بعضهم: الأئمة هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم، وأما نصيحة عامة المسلمين، وهم ما عدا ولاة الأمر، فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم، وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم، وأعراضهم، وتنشيط هممهم، والنصيحة فرض كفاية يثاب فيه من قام به ويسقط عن الباقين، النصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقبل نصحه ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى، فهو في سعة من أمره، والله أعلم"(١٣٧).

ومن هنا ينبغي على المسلم ألا تقصر همته، وتفتر عزيمته عن النملة التي ذكرها الله، وخلد فعلها في كتابه لإيجابيتها ونصحها.

ثالثًا: التأدب مع الآخرين:-

إن الأدب مع الناس جميعًا، وإنزال الناس منازلهم، وإكرامهم أمر دعا إليه الإسلام، ورغب فيه خير الأنام محمد -ﷺ-، حيث قال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"(١٣٨).

وأعلى الناس قدرًا وأسماهم أدبًا وخلقًا هم الأنبياء؛ لأنهم صفوة الله من خلقه، فلا جرم أن يعرف الخلق لهم ذلك فيجلوهم ويعظموهم، ولقد ظهر ذلك جليًا حين قص الله – تعالى – خبر تلك النملة التي كانت مثالًا للأدب مع أنبياء الله ورسله حين قالت لبني جنسها: **(ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)**(١٣٩).

"هذا اعتذار من النملة عن سليمان وجنوده، وكأنها تقول لأخوتها من النمل: كونوا على حذر من تحطيم جنود سليمان لكم، وفروا إلى مساكنكم؛ لأنه إذا حطمكم سليمان وجنده فهذا سيكون بدون قصد أو شعور، فأنتم الجانون على أنفسكم"(١٤٠).

"إن في قول النملة: "وهم لا يشعرون" تبرئة لساحة سيدنا سليمان – عليه السلام– ولساحة جميع الأنبياء من أي شبهة، أو شائبة، ولو كانت يسيرة؛ لأن منزلة الأنبياء هي أعلى المنازل وأسمى المراتب؛ لأهم سفراء الله إلى خلقه، عصمهم الله من الزلل والخلل، وبرأهم من العاهة والعطب"(١٤١).

يقول ابن القيم – رحمه الله -:-

"ويكفي في فطنتها – أي النملة – ما نص الله عليه في كتابه من قولها لجماعة النمل: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)**(١٤٢).

فتكلمت بعشرة أنواع من الخطاب في هذه النصيحة: النداء، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والنص، والتحذير، والتخصيص، والتفهيم، والتعميم، والاعتذار.

فاشتملت نصيحتها مع الاختصار على هذه الأنواع العشرة؛ ولذلك أعجب سليمان بقولها، وتبسم ضاحكًا منه، وسأل الله أن يوزعه شكر نعمته عليه لما سمع كلامها، ولا تستبعد هذه الفطنة من أمة من الأمم تسبح"(١٤٣).

الشكر والتواضع في قصة سليمان – عليه السلام- :-

اختار الله – ﷻ – أنبياءه - عليهم السلام – من صفوة بني آدم، فكانوا جماع كل فضيلة، وأهل كل بر، ومن هذه الفضائل فضيلة الشكر والتواضع، والشكر سبب الزيادة والنماء، كما قال – سبحانه – على لسان كليمه موسى – عليه السلام-: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(١٤٤).

"قوله "تأذن" بمعنى أذن أي أعلم، يقال: آذن بالأمر وبالأمر أي: أعلمه، إلا أن صيغة التفعل تفيد المبالغة في الإعلام، فيكون معنى "تأذن": أعلم إعلامًا واضحًا بليغًا لا التباس معه ولا شبهة.

واللام في قوله: "لئن شكرتم" موطئة للقسم، وحقيقة الشكر: الاعتراف بنعم الله – تعالى -، واستعمالها في مواضع أرشدت الشريعة إليها، وقوله – تعالى – "لأزيدنكم" سد مسد جوابي القسم والشرط." (١٤٥)، لذا قيل: "الشكر قيد الموجود وصيد المفقود أو لئن شكرتم نعمتي فآمنتم وأطعتم لأزيدنكم في النعمة"(١٤٦).

والتواضع سبب الرفعة والعلو والارتقاء؛ لأن النبي -ﷺ– قال: وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"(١٤٧)، والشكر والتواضع سجية الأنبياء جميعًا في كل حال، ومن هؤلاء الأنبياء سيدنا سليمان – عليه السلام– الذي قال الله له ولأبيه داود – عليه السلام– ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(١٤٨)، "أي: اعملوا شكرًا على ما أنعم الله به عليكم في الدين والدنيا، وشكرًا مصدر من غير فعل أو أنه مفعول له"(١٤٩)، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالنية والقول، فالصلاة شكر والصيام شكر، وكل خير تعمله لله -ﷻ- شكر، وأفضل الشكر الحمد(١٥٠)، والشكر هو تقوى الله والعمل الصالح، وقد كان آل داود – عليهم السلام – كذلك قائمين بشكر الله – تعالى – قولًا وعملًا، ولقد كان داود – عليه السلام– قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي، فعمرتهم هذه الآية: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(١٥١)، وفي الصحيحين عن رسول الله -ﷺ– أنه قال: "إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لقي"(١٥٢)، وقوله تعالى: "وقليل من عبادي الشكور" إخبار عن الواقع"(١٥٣).

" وقد أثنى الله – سبحانه وتعالى – على أول رسول بعثه إلى الأرض، فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾(١٥٤)، وفي تخصيص نوح هنا بالذكر وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به، فإنه أبوهم الثاني؛ لأن الله – تعالى – لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلاً إلا من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾(١٥٥)، فأمر ذريته أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر، فإنه كان عبدًا شكورًا؛ ولذلك نجد أن الله – تعالى – وصى الإنسان بالشكر له – سبحانه – ثم للوالدين، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ

أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ)[١٥٦]، وأخبر – سبحانه وتعالى – أن رضاه في شكره، فقال تعالى: (وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ)[١٥٧]، وأثنى – سبحانه وتعالى – على خليله إبراهيم – عليه السلام– بشكر نعمه، فقال – تعالى -: (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[١٥٨]، فأخبر عنه – سبحانه – بأنه أمة، أي: قدوة يؤتم به في الخير، وأنه قانتًا لله، والقانت هو المطيع المقيم على طاعته، والحنيف هو المقبل على الله المعرض عما سواه، ثم ختم له بهذه الصفات بأنه شاكرًا لأنعمه، فجعل الشكر غاية خليله، وأخبر – سبحانه – أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره، أي: هو الغاية التي خلق الله عباده لأجلها، قال – تعالى -: (وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[١٥٩]، فهذه غاية الخلق والأمر، وقد صرح سبحانه بأن الشكر سبب من أسباب بعثة الرسول -ﷺ– وذلك في قوله تعالى: (كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ)[١٦٠]، وكان رسول الله -ﷺ– قد ثبت عنه: "أنه قام حتى تفطرت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟"[١٦١]"[١٦٢].

والشكر أيضًا يكون لمن صنع معك معروفًا من البشر؛ لذلك قال رسول الله -ﷺ-: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[١٦٣]، وفي قصة سليمان – عليه السلام– نرى الشكر في أتم صوره وأكمل وجوهه عندما سمع سليمان كلام النملة وهي تحذر قومها من سليمان وجنده وتعتذر في نفس الوقت بقولها: "وهم لا يشعرون"، وعندئذٍ (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[١٦٤].

"وتبسم سليمان من قولها تبسم تعجب، والتبسم أضعف حالات الضحك، فقوله: ضاحكًا حال مؤكدة لـ "فتبسم" وضحك الأنبياء التبسم، كما ورد في صفة ضحك رسول الله –ﷺ-[١٦٥] أو ما يقرب من التبسم مثل بدو النواجذ كما ورد في بعض ضحكه –ﷺ–، وأما القهقهة فلا تكون للأنبياء، وإنما تعجب سليمان من أنها عرفت اسمه وأنها قالت: "وهم لا يشعرون" فوسمته وجنده بالصلاح والرأفة وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة، وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل لكل مخلوق لا فساد منه ليعلم شرف العدل، وأن ولي الأمر إذا عدل سرى عدله في سائر الأشياء، وظهرت آثاره فيها حتى كأنه معلوم عند ما لا إدراك له، فتسير جميع أمور الأمة على عدل[١٦٦].

"وقوله –تعالى- : "ضاحكًا" أي متبسمًا، وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك"[١٦٧].

"وقوله –تعالى-: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي": "رب" نداء قريب مباشر متصل، و"أوزعني" اجمعني كلي أي: اجمع جوارحي ومشاعري

ولساني وجناحي وخواطري وخلجاتي، وكلماتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي واجمع كل طاقاتي أولها على آخرها وآخرها على أولها لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ وعلى والدي"[١٦٨]، "وألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليّ من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك، "وأن أعمل صالحًا ترضاه" أي: عملاً تحبه وترضاه "وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك"[١٦٩].

وأما آخر المواضع التي تجلى فيها شكر سيدنا سليمان في سورة النمل الكريمة فهو عندما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده في وقت لا يكاد يذكر فأعلن للتو واللحظة شكره لله – تعالى – بقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١٧٠]، وسوف يأتي تفسير هذه الآية المباركة بالتفصيل في موضعها إن شاء الله.

سليمان – عليه السلام – نموذج العدل الكامل:-

لقد وضع القرآن الكريم القوانين والتشريعات التي تجب على ولاة الأمر والحكام في أسلوب قصصي حتى يحبب الحكام في العدل بين الرعية ويعلم الحكام واجباتهم تجاه الرعية؛ لأن الحكام مسئولون عن رعيتهم أمام الله – ﷻ -، لذلك قال رسول الله –ﷺ- : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[١٧١]، ومن هنا وضح الله – ﷻ – كيف يكون الحكم الرشيد الذي فيه صلاح البلاد والعباد، وذلك من خلال قصة سيدنا سليمان – عليه السلام – على النحو التالي:-

أولاً: الاهتمام بشئون الرعية صغيرها وكبيرها:-

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[١٧٢].

"التفقد: تطلب الشيء ومعرفة أحواله، ومنه قولهم تفقد القائد جنوده، أي: تطلب أحوالهم ليعرف حاضرهم من غائبهم.

والطير: اسم جنس لكل ما يطير، ومفرده طائر، والمراد بالهدهد[١٧٣] هنا: طائر معين وليس الجنس.

وأم منقطعة بمعنى بل، والمعنى: وأشرف سليمان – عليه السلام – على أفراد مملكته ليعرف أحوالها، فقال بعد أن نظر في أحوال الطير: ما لي لا أرى الهدهد، أي: ما الذي حال بيني وبين رؤية الهدهد، ثم تأكد من غيابه فقال: بل هو من الغائبين"[١٧٤].

"ولما سئل ابن عباس، كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال: إن سليمان إذا كان في فلاة الأرض دعا الهدهد"[١٧٥].

ثانيًا: الحزم في معاقبة المقصرين والعدل في الحكم:-

"من تمام نظام الدولة أن يكون رئيسها الأعلى عالمًا بغايتها مؤمنًا بها عاملاً جهده لها هذه واحدة، والأخرى أن يكون يقظًا ومنتبهًا متعهدًا لشئون الرعية، حازمًا في محاسبة المسئولين، فإن لم يكن كذلك انحل التناسق في قوى الدولة، وانفرط عقدها، وسيدنا سليمان الذي عني بتفقد الطير لا يفوته أن يتفقد ما هو أهم منه، وهذا استقصاء كامل في رعاية نواحي الدولة، وهو يضرب بذلك المثل الأعلى في يقظة الحس؛ ليحتذيه كل من ولي من أمور الناس شيئًا، وتأمل كيف يهتم بغياب الهدهد ويسأل عنه، ويتوعده بالعقوبة الصارمة؟

وما قيمة هدهد في هذه العوالم الكثيرة والجيوش الجرارة؟ وما فائدة هذا الهدهد إذا حضر وما مضرته إذا غاب؟ لكنه القائد الحكيم الذي يرى أن لكل شيء رسالة صغر أو كبر، ولكل جندي عملاً لا يؤديه غيره، فإذا غاب أو أهمل اختل التناسق في العمل، وأدركه الاضطراب والخلل، ومن هنا يعظم في صدر القائد المرهف الحس ما يقع من جرائم الغياب أو التقصير فيكون حازمًا في مؤاخذة أصحابها، مؤاخذة تحمل العذاب الشديد وتمتد إلى عقوبة الموت، ومن هنا نتعلم: أن الذي يهتم بصغار الأمور هذا الاهتمام يكون بكبارها أشد رعاية واهتمامًا، وأن الذي يحاسب الحساب العسير الحازم فيما قد يبدو تافهًا لا يمكن أن يفرط في المؤاخذة على الأخطاء الجسيمة"[١٧٦]، ولهذا قال الله – سبحانه – على لسان نبيه سليمان – عليه السلام- : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[١٧٧]، قوله – تعالى-: "لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه" دليل على أن الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد، وروي عن ابن عباس أن تعذيبه للطير كان بأن ينتف ريشه وفِعل سليمان هذا بالهدهد إغلاظًا على العاصين، وعقابًا على إخلاله بنوبته ورتبته، وكأن الله أباح له ذلك، كما أباح ذبح البهائم والطير للأكل وغيره من المنافع والله أعلم"[١٧٨].

وقوله –تعالى-: "أو ليأتيني بسلطان مبين" أي: بحجة بينة في غيبته وعذر ظاهر"[١٧٩]؛ ولذلك فإن الإمام العادل هو الذي يتريث في إصدار الأحكام، ولا يتسرع في معاقبة المتهم حتى تثبت إدانته بصفة قطعية لا تحتمل الظن أو التخمين، وهو مع كونه حازمًا واسع الصدر يقبل العذر، ويعفو ويصفح، مادام هناك مجالًا للعفو، وفي قصة سيدنا سليمان والهدهد المثل الأعلى للإمام العادل، حيث علق سيدنا سليمان عقوبته لذلك الجندي المتغيب بدون إذن على أن يأتيه بعذر مقبول وحجة واضحة، وعندئذٍ فليس عليه من سبيل؛ لذلك قال سليمان – عليه السلام-: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[١٨٠]، وعندما يكون الإمام بهذه الصفات الراقية فإن الرعية لن تخشى بطشه وسطوته ما لم يرتكب جرمًا أو يقترف إثمًا، بل إن الجميع يتفانى في خدمته ويتمنى سلامته وطول بقائه؛ لأنه حقق الأمن للرعية بإقامة العدل فيهم ورد الحقوق لأصحابها وأنصف المظلوم وأخذ على يد الظالم؛ ولذلك يجب ألا يتخذ الحاكم دون شعبه مكانًا قصيًا، ويجعل بينه وبينهم حجابًا مستورًا، ولا يظهر إلا وهو في هالة من الجند الكثيف المدجج بالسلاح، فمثل هذا لا يسمع شكاية مظلوم ومثل هذا وأمثاله لا ترتقي بهم أمة ولا ترفع بهم غمة، بل هم في الحقيقة أهم أسباب بلاء أمتهم، وفي وجودهم عين شقائها، والإمام العادل هو الذي يستوي أمامه الغني والفقير، والقوي والضعيف، الناس أمامه سواسية كأسنان المشط، كل هذا من صفات الصالحين من الحكام، فهذا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – لما تولى الخلافة ضرب أروع الأمثلة في الحكم الرشيد، فكانت أول خطبة له بعد توليه الخلافة تقول: "أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله"[١٨١]، فيا لها من كلمات جامعة حوت الصراحة والعدل، مع التواضع والفضل، والحث على الجهاد لنصرة الدين"[١٨٢]، ولقد ورد في سنة النبي –ﷺ– فضيلة الإمام العادل عند الله – تعالى -؛ لذلك قال رسول الله –ﷺ- : "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف

الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"(١٨٣)، فالإمام العادل سبب في إصلاح الرعية، وتقدم الدولة وإقامة المجتمع الفاضل ونشر الخير بين الناس.

حوار بين سيدنا سليمان – عليه السلام – والهدهد:-

ذكرت سورة النمل فيما سبق أن الله – تعالى – علم سليمان – عليه السلام – منطق الطير، كما ذكرت أنه – عليه السلام – توعد الهدهد الذي تخلف عن موكبه دون إذنه إلا أن يأتيه بعذر مقبول يكون سببًا في العفو عنه، وفي هذه الحلقة من قصة سيدنا سليمان تذكر السورة أن الهدهد قد جاء بعذر وأي عذر، وأتى بسلطان وأي سلطان.

قال – تعالى -: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)(١٨٤).

"فمكث" قُرئ بفتح الكاف وضمها، "غير بعيد" أي: غير زمان بعيد، كقوله: عن قريب، ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفًا من سليمان، وليعلم كيف كان الطير مسخرًا له، ولبيان ما أعطي سليمان من المعجزة الدالة على نبوته، وقوله- تعالى- "أحطت" بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق أي: ألهم الله الهدهد فكافح سيدنا سليمان – بهذا الكلام – على ما أوتي سليمان من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، وذلك ابتلاءً له في علمه، وتنبيهًا على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علمًا بما لم يحط به سليمان، لتتحاقر إليه نفسه، ويتصاغر إليه علمه، ويكون ذلك سببًا في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة، والإحاطة بالشيء علمًا: أن يعلم العلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم"(١٨٥)، وعلى هذا يكون معنى قوله –تعالى-: (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ)(١٨٦) أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)(١٨٧) أي: بخبر صدق حق يقين"(١٨٨).

"ومن هذه الآية نتعلم:-

أولاً: الجرأة في الحق:-

فقد دخل الهدهد مجلس سليمان – عليه السلام – النبي (الملك)، وقبل أن يسأله عن سبب غيابه ابتدره قائلاً: "أحطت بما لم تحط به"، أي: علمت علمًا وصل لدرجة الإحاطة بما لم تعلم عنه أنت شيئًا، وإنما بدأ بهذه المقدمة؛ ليخفف من غضب سليمان عليه، ويجعله يصغي لما سيقص عليه، وهو مع ذلك على ثقة تامة بعدالة سليمان الذي لا يغضب لنفسه أبدًا، وإنما همه الشاغل تعبيد الناس لربهم، وإقامة الملك على شرع الله ومنهجه.

هكذا كانت جرأة الهدهد مع سليمان – عليه السلام – مما سطره لنا الحق في كتابه وأولى الناس بالصدع بالحق والجرأة فيه العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والعالم الذي هو وارث الأنبياء لا ينبغي أن يكون ضعيفًا، وإنما يجب عليه أن يبين الحق للناس ولا يكتمه، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا)(١٨٩) .

ثانيًا: الحكمة ضالة المؤمن:-

وهذا الأمر موجود بوضوح في قول الهدهد لسيدنا سليمان: **(أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)**(١٩٠)، ونلاحظ أن سليمان – عليه السلام – لم يأنف من الهدهد بل استمع إليه، وأخذ عنه ما لم يعلمه عن مملكة سبأ، "وذلك إكبار لشأن العلم، وإعلاء لمنزلته وأي إكبار أعظم من أن نبي الله سليمان يأخذ العلم من طير من الطيور، ويتلقاه من نوع غير نوعه، ولا يرى غضاضة في ذلك، ولعل الناس يفطنون لهذا، فيكبرون من شأن العلم كما أكبره سليمان – عليه السلام – ويهتمون به كما اهتم به"(١٩١)، ومن هنا علمنا سليمان – عليه السلام – أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

الخبر اليقين من الهدهد:-

قال تعالى: **(إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)**(١٩٢).

في هذه الآية نجد أن الهدهد بدأ في سرد حيثيات النبأ العظيم القادم به من سبأ، وذلك في قوله: "إن وجدت امرأة تملكهم"، وهذا استئناف ببيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له إثر الإجمال"(١٩٣)، "ثم فصل الهدهد هذا النبأ وبينه في أمور ثلاثة:

أولاً: إن ملكتهم امرأة وهي بلقيس(١٩٤)، وكان أبوها من قبلها ملكًا جليل القدر واسع الملك.

ثانيًا: إنها أوتيت من الثراء وأبهة الملك وما يلزم ذلك من عتاد الحرب والسلاح وآلات القتل الشيء الكثير الذي لا يوجد مثله إلا في الممالك العظمى.

ثالثًا: إنها لها سرير عظيم تجلس عليه مرصعًا بالذهب وأنواع اللآلئ والجواهر في قصر كبير رفيع الشأن، وفي هذا أكبر الأدلة على عظمة الملك وسعة رقعته ورفعة شأنه بين الممالك، ونلاحظ في هذا الكلام ذكر لشئونهم الدنيوية"(١٩٥).

Abstract

inferred intentional sura of the reform of the individual and society through the stories of the prophets

By Mahmoud Abd-Allah

Chapter II : inferred intentional sura of the reform of the individual and society through the stories of the prophets (Moses, Dawood and Solomon), in which three topics: -

The first topic: the prophets and the need of creation to them.

The second topic: Musa - peace be upon him

The third topic: Dawood and Solomon - peace be upon them

الهوامش

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٩.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لأبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى سنة: ٨١٧هـ)، (١٤/٥)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٥١.

(٦) مختار الصحاح، صـ٣٠٤، مادة: نبأ.

(٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم، (٤٩٥/١، ٤٩٦).

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٩) سورة الزخرف، الآية: ٣٠.

(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

(١١) النبوات، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية (المتوفى سنة: ٧٢٨هـ)، (١٩/١، ٢٠)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(١٢) سورة النمل، الآية: ٣٥.

(١٣) ينظر في هذه المسألة: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل الجوهري الفارابي، المتوفى سنة: ٣٩٣، (١٧٠٨/٤، ١٧٠٩)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ومختار الصحاح، صـ١٢٢، ولسان العرب، تأليف: محمد بن منظور، المتوفى سنة: ٧١١هـ، (٢٨١/١١، ٢٨٢)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الحموي، المتوفى سنة: ٧٧٠هـ، (٢٢٦/١)، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

(١٤) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

(١٥) أخرجه أحمد في المسند عن أبي ذر في مسند الأنصار، برقم ٢١٥٤٦، وذكره الألبان في سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، برقم ٢٦٦٨، (٣٥٨/٦)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

(١٦) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(١٧) سورة مريم، الآية: ٥١.

(١٨) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب من لم يرق، برقم ٥٧٥٢، (١٣٤/٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، برقم ٢٢٠، (١٩٩/١).

(٢٠) الرسل والرسالات، تأليف عمر بن سليمان الأشقر، صـ١٣: ١٥، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
(٢١) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.
(٢٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢٣) سورة النساء، الآية: ١٣٦.
(٢٤) ينظر: معارج القبول، (٦٥/٢، ٦٦).
(٢٥) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٢٦) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٢٧) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٢٨) سورة القصص، الآية: ٥٩.
(٢٩) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٣٠) سورة الأنعام، من الآية: ٨٣ : ٨٦.
(٣١) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.
(٣٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٣٣) الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا، صـ٥٤، بتصرف يسير، مطبعة الأزهر للإعلام العربي، ١٤٠٨هـ.
(٣٤) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.
(٣٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف: محمد بن أبي بكر بن سعد ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة: ٧٥١هـ، (٢/٢)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
(٣٦) سورة طه، من الآية: ١٢٤.
(٣٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، (٢٣/١)، بتصرف يسير، ط: المكتبة القيمة.
(٣٨) سورة الأنعام، من الآية: ٩٠.
(٣٩) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٤٠) سورة الأعراف، من الآية: ١٤٤.
(٤١) سورة النساء، من الآية: ١٦٤.
(٤٢) سورة طه، من الآية: ٣٩.
(٤٣) سورة طه، من الآية: ٣٩.
(٤٤) سورة طه، الآية: ٤١.
(٤٥) سورة الأحقاف، من الآية: ٣٥.
(٤٦) حنين: واد قبل الطائف، وقيل واد بجنب ذي المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال. ينظر: معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى: ٦٢٦هـ، (٣١٣/٢)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
(٤٧) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى – عليهما السلام – برقم: ٣٤٠٥، (١٥٧/٤)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، برقم: ١٠٦٢، (٧٣٩/٢).
(٤٨) سورة الدخان، من الآية: ٣١.
(٤٩) سورة طه، الآية: ٢٤، وسورة النازعات، الآية: ١٧.
(٥٠) سورة النمل، من الآية: ١٢.
(٥١) سورة القصص، الآيتان: ٥، ٦.
(٥٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٣٨ – ١٤٠.
(٥٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٥٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٥٥) سورة المزمل، الآية: ١٥.
(٥٦) سورة النجم، الآيات: ٣٦ – ٤١.
(٥٧) التفسير الحديث، للشيخ/ محمد عزة دروزة (١٣٩/١) بتصرف.
(٥٨) دعوة الرسل، للشيخ/ محمد أحمد العدوي، صـ١٨١، بتصرف.

(٥٩) ينظر: الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم، د/ محمد طلعت أبو صير، صـ١٦١، المطبعة العربية الحديثة، ١٩٨٦م.
(٦٠) مدين: على بحر القلزم محاذية لتبوك، على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك وبها البئر الذي استسقى منها موسى – ﷺ– لسائمة شعيب. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (٧٧/٥).
(٦١) مصر: سميت مصر بمصر بن مصاريم بن حام بن نوح – ﷺ– وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم – ويجري فيها نهر النيل. ينظر: المصدر السابق، (١٣٧/٥).
(٦٢) سورة النمل، الآيات: ٧ – ٩.
(٦٣) الطلق: وجع الولادة. ينظر: مختار الصحاح، صـ١٩٢، مادة: طلق.
(٦٤) الضرام بالكسر اشتعال النار في الحلفاء ونحوها، واضطرمت النار أي التهبت. ينظر: المصدر السابق، صـ١٨٤، وأساس البلاغة للزمخشرى (٥٨١/١) مادة: ضرم.
(٦٥) صفوة التفاسير، للشيخ/ محمد علي الصابوني، (٣٦٩/٢، ٣٧٠)، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
(٦٦) هو أبو موسى الأشعري، واسمه عبد قيس، كان أبو موسى حليفًا لسعيد بن العاص، ثم أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله -ﷺ– بخيبر، توفي – ﷺ – سنة اثنين وأربعين للهجرة. ينظر: أسد الغابة، (٣٠٧/٥).
(٦٧) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله – ﷺ– إن الله لا ينام، برقم ١٧٩، (١٦١/١).
(٦٨) التفسير الوسيط، (٣٠٦/١٠).
(٦٩) في ظلال القرآن، (٢٦٣٠/٥)، بتصرف.
(٧٠) سورة النمل، الآيات: ١٠ – ١٢.
(٧١) الجان: جمع جني، وهو ضد الإنس، وسميت بذلك الاسم لأنها تتقى ولا ترى، والجان أيضًا: حية بيضاء. ينظر: أساس البلاغة للزمخشري، (١٥٢/١)، مادة: جنن، ومختار الصحاح، صـ٥٢.
(٧٢) ينظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: "وبث فيها من كل دابة"، برقم: ٣٢٩٨ (١٢٧/٤)، ومسلم، كتاب الآداب، باب قتل الحيات وغيرها، برقم ٢٢٣٣، (١٧٥٣/٤).
(٧٣) الفرق: الخوف، مختار الصحاح، صـ٢٣٨.
(٧٤) سورة طه، الآية: ٨٢.
(٧٥) سورة النساء، الآية: ١١٠.
(٧٦) تفسير ابن كثير، (١٦٣/٦).
(٧٧) في ظلال القرآن، (٢٦٣٠/٥).
(٧٨) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.
(٧٩) التفسير المنير، (٢٦٦/١٩).
(٨٠) سورة النمل، الآية: ١٣.
(٨١) تفسير أبي السعود، (٢٧٥/٦).
(٨٢) تفسير السعدي، (٦٠٠/١).
(٨٣) سورة النمل، الآية: ١٤.
(٨٤) التحرير والتنوير، (٢٣٢/١٩).
(٨٥) التفسير الوسيط، (٣١٠/١٠، ٣١١).
(٨٦) سورة القمر، الآيات: ٤١، ٤٢.
(٨٧) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٨٨) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، برقم: ٤٦٨٦، (٧٤/٦).
(٨٩) سورة الأنعام، من الآية: ٨٤.
(٩٠) سورة الأنبياء، من الآية: ٧٨.
(٩١) سورة النمل، الآية: ١٥.
(٩٢) السني: الرفيع. ينظر: مختار الصحاح، صـ١٥٦.

(٩٣) عزيز: أي قوي بعد ذلة، والعز ضد الذل. ينظر: أساس البلاغة، (٦٥٠/١)، ومختار الصحاح، صـ٢٠٧.
(٩٤) تفسير أبي السعود، (٢٧٦/٦).
(٩٥) تفسير ابن كثير، (١٦٤/٦).
(٩٦) تفسير البغوي، (٤٩٢/٣).
(٩٧) ينظر: تفسير القرطبي، (١٦٤/١٣).
(٩٨) تفسير أبي السعود، (٢٧٦/٦).
(٩٩) تفسير الطبري: (٤٣٧/١٩).
(١٠٠) دعوة الرسل: الشيخ العدوي، صـ٢٩٩ – ٣٠٠، بتصرف يسير.
(١٠١) منهج الدعوة إلى الله – تعالى – في ضوء سورة النمل، د/ حسين حامد عمر، صـ١٥٢، بتصرف.
(١٠٢) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ كبير أئمة الأدب. مولده ووفاته في البصرة، كان مشوه الخلقة ومات والكتاب على صدره، وله مؤلفات أخرى عديدة، منها: "مسائل القرآن"، و"الجواري"، و"النساء"، و"البلدان"، وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة. ينظر: الأعلام للزركلي، (٧٤/٥).
(١٠٣) ينظر: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تأليف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن شهاب بن سعد العسكري (المتوفى: ٣٩٥هـ)، صـ٤٢، تحقيق: د. مروان قباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
(١٠٤) سورة النمل، الآية: ١٥.
(١٠٥) سورة النمل، الآية: ١٦.
(١٠٦) أخرجه البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النبي -ﷺ- : "لا نورث ما تركناه صدقة"، برقم ٦٧٣٠، (١٥٠/٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، برقم ١٧٥٧، (١٣٧٧/٣)، وأحمد، مسند أبي بكر الصديق – ﷺ – برقم ٩، (١٨٨/١).
(١٠٧) سورة النمل، من الآية: ١٦.
(١٠٨) تفسير ابن كثير، (١٦٤/٦، ١٦٥).
(١٠٩) البحر المحيط في التفسير، (٢١٨/٨).
(١١٠) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا -ﷺ- على جميع الخلائق، برقم ٢٢٧٨، (١٧٨٢/٤)، بدون زيادة "ولا فخر" وهذا للأمانة في النقل وعدم الزيادة في حديث الرسول -ﷺ-.
(١١١) تفسير أبي السعود، (٢٧٧/٦).
(١١٢) سورة النمل، من الآية: ١٦.
(١١٣) دعوة الرسول – عليهم السلام -، تأليف: أحمد أحمد غلوش، صـ١٤٢٧، بتصرف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
(١١٤) سورة النمل، الآية: ١٧.
(١١٥) سورة الكهف، من الآية: ٤٧.
(١١٦) تفسير القرطبي، (١٦٧/١٣).
(١١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢٥٣/٤).
(١١٨) تفسير البغوي، (٤٩٤/٣).
(١١٩) القبيل: هو الكفيل أو الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدًا من قوم شتى. ينظر: مختار الصحاح، صـ٢٤٦، مادة: قبل.
(١٢٠) مفاتيح الغيب، (٥٤٨/٢٤).
(١٢١) تفسير سورة النمل، د. البهي، صـ١٥.
(١٢٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(١٢٣) النمل: اسم جنس لحشرات صغيرة ذات أرجل تسكن في شقوق من الأرض، وهي أصناف متفاوتة في الحج، والواحد منه نملة بتاء الوحدة، فكلمة نملة لا تدل إلا على فرد واحد من هذا النوع دون دلالة على تذكير ولا تأنيث، فقوله: نملة مفاده: قال واحد من هذا النوع، واقتران فعله بتاء التأنيث جرى على مراعاة صورة لفظه لشبه هائه بهاء التأنيث، وإنما هي علامة الوحدة، والعرب لا يقولون: مشى شاة إذا كان الماشي فحل من الغنم، وإنما يقولون: مشت شاة، وطارت حمامة، فلو كان ذلك الفرد ذكرًا وكان مما يفرق بين ذكره وأنثاه في أغراض الناس، وأرادوا بيان كونه ذكرًا قالوا: طارت حمامة ذكر، ولا يقولون طار حمامة. ينظر: التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (٢٤١/١٩).

(١٢٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(١٢٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: إذا حرق المسلم المشرك هل يحرق، برقم: ٣٠١٩، (٦٤/٤)، ومسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن قتل النمل، برقم: ٢٢٤١، (١٧٥٩/٤).

(١٢٦) في ظلال القرآن، (٢٦٣٦/٥).

(١٢٧) سورة المدثر، من الآية: ٣١.

(١٢٨) سورة النمل، الآية: ١٨.

(١٢٩) التفسير الوسيط، (٣١٥/١٠).

(١٣٠) ينظر: دعوة الرسل، للشيخ أحمد غلوش، صـ٤٣١.

(١٣١) سورة التوبة، الآية: ١٠.

(١٣٢) سورة البقرة، من الآية: ٢١٧.

(١٣٣) سورة النمل، من الآية: ١٨.

(١٣٤) سورة النساء، من الآية: ٧١.

(١٣٥) سورة التوبة، من الآية: ١٢٢.

(١٣٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٥٥، (٧٤/١).

(١٣٧) المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (المتوفى سنة: ٦٧٦هـ)، (٣٨/٢، ٣٩)، بتصرف، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(١٣٨) أخرجه الترمذي، في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم ١٩١٩، (٣٢١/٤).

(١٣٩) سورة النمل، من الآية: ١٨.

(١٤٠) دعوة الرسل، للشيخ العدوي، صـ٣٠٣، بتصرف.

(١٤١) منهج الدعوة إلى الله – تعالى – في ضوء سورة النمل، د. حسين حامد عمر، صـ١٦٥، بتصرف.

(١٤٢) سورة النمل، من الآية: ١٨.

(١٤٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (٢٤٣/١).

(١٤٤) سورة إبراهيم، من الآية: ٧.

(١٤٥) التفسير الوسيط، (٥٢١/٧).

(١٤٦) تفسير البغوي، (٣١/٣).

(١٤٧) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم ٢٥٨٨، (٢٠٠١/٤).

(١٤٨) سورة سبأ، من الآية: ١٣.

(١٤٩) المفعول له: هو المصدر المعلل لحدث شاركه وقتًا وفاعلًا، كـ "قمت إجلالًا لك". ينظر: متن قطر الندى وبل الصدى، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد أبو محمد جمال الدين، ابن هشام (المتوفى سنة: ٧٦١هـ)، صـ١٧، الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

(١٥٠) الحمد: ضد الذم، والحمد أعم من الشكر، والتحميد أبلغ من الحمد، والمحمد بالتشديد الذي كثرت خصاله المحمودة، والمحمدة بفتح الميمين ضد المذمة. ينظر: مختار الصحاح، مادة: حمد، صـ٨٠.

(١٥١) سورة سبأ، من الآية: ١٣.
(١٥٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، برقم ٣٤٢٠، (١٦١/٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًا، برقم ١١٥٩، (٨١٦/٢).
(١٥٣) تفسير ابن كثير، (٤٤٢/٦)، بتصرف.
(١٥٤) سورة الإسراء، الآية: ٣.
(١٥٥) سورة الصافات، الآية: ٧٧.
(١٥٦) سورة لقمان، الآية: ١٤.
(١٥٧) سورة الزمر، من الآية: ٧.
(١٥٨) سورة النحل، الآية: ١٢٠، ١٢١.
(١٥٩) سورة النحل، الآية: ٧٨.
(١٦٠) سورة البقرة، الآيتان: ١٥١، ١٥٢.
(١٦١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب قيام النبي -ﷺ- حتى ترم قدماه، برقم ١١٣٠، (٥٠/٢)، ومعنى تتفطر: تتشقق، والفطور هو الشقوق والانفطار: الانشقاق. ينظر: المصدر السابق، (٥٠/٢).
(١٦٢) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، صـ١١٨، ١١٩، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
(١٦٣) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم: ١٩٥٤، (٣٣٩/٤)، وحكم الألباني على الحديث في الهامش، وقال: صحيح.
(١٦٤) سورة النمل، من الآية: ١٩.
(١٦٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تبسمه -ﷺ- وحسن عشرته، برقم ٢٣٢٢، (١٨١٠/٤)، وفي سنن الترمذي في أبواب المناقب، باب في بشاشة النبي -ﷺ- عن عبد الله بن الحارث قال: "ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله -ﷺ-" الحديث برقم ٣٦٤١، (٦٠١/٥)، وحكم الألباني على الحديث السابق بأنه: صحيح.
(١٦٦) التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، (٢٤٣/١٩).
(١٦٧) تفسير البغوي، (٤٩٥/٣).
(١٦٨) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٦، ٢٦٣٧)، بتصرف يسير.
(١٦٩) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٦٦).
(١٧٠) سورة النمل، من الآية: ٤٠.
(١٧١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، برقم: ٥٢٠٠، (٧/ ٣١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فضيلة الإمام العادل، برقم: ١٨٢٩، (١٤٥٩/٣).
(١٧٢) سورة النمل، الآية: ٢٠.
(١٧٣) والهدهد طائر منتن الريح والبدن، من جوهره وذاته، فرب شيء يكون منتنًا من نفسه، من غير عرض يعرض له، كالتيوس والحيات وغير ذلك من أجناس الحيوان، فأما الأعراب فيجعلون ذلك النتن بسبب تلك الجيفة المدفونة في رأسه ، والله أعلم. ينظر: الحيوان للجاحظ، (٢٤٩/٣).
(١٧٤) التفسير الوسيط، (١٠/ ٣١٦، ٣١٧).
(١٧٥) تفسير ابن أبي حاتم، سورة النمل، قوله تعالى: "وتفقد الطير"، برقم: ١٦٢١١، (٩/ ٢٨٥٩).
(١٧٦) تذكرة الدعاة للشيخ/ البهي الخولي، صـ٥٢، ٥٣، بتصرف.
(١٧٧) سورة النمل، الآية: ٢١.
(١٧٨) تفسير القرطبي، (١٨٠/١٣)، بتصرف يسير.
(١٧٩) تفسير البغوي، (٤٩٧/٣).
(١٨٠) سورة النمل، الآية: ٢١.
(١٨١) البداية والنهاية لابن كثير، (٢٤٨/٥)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

(١٨٢) أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، لمحمد رضا، صـ٢٦، تحقيق: خليل سيحا، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٢٤٢هـ / ٢٠٠٤م.
(١٨٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم ٦٦٠، (١٣٣/١)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم: ١٠٣١، (٧١٥/٢)، والترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، برقم: ٢٣٩١، (٥٩٨/٤).
(١٨٤) سورة النمل، الآية: ٢٢.
(١٨٥) ينظر: الكشاف للزمخشري، (٣٥٩/٣).
(١٨٦) سورة النمل، من الآية: ٢٢.
(١٨٧) سبأ بفتح أوله وثانيه، وهمز آخره وقصره: أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، باب السين والباء وما يليها، (١٨١/٣).
(١٨٨) تفسير ابن كثير، (١٦٨/٦).
(١٨٩) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.
(١٩٠) سورة النمل، الآية: ٢٢.
(١٩١) دعوة الرسل للشيخ العدوي، صـ٣٠٤، بتصرف يسير.
(١٩٢) سورة النمل، الآية: ٢٣.
(١٩٣) تفسير أبي السعود، (٢٨١/٦).
(١٩٤) هي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من حمير، ملكة سبأ. ينظر: الأعلام للزركلي، (٧٣/٢).
(١٩٥) تفسير المراغي، (١٣٢/١٩) بتصرف.